الصَّبَاحُ الكَاذِبُ
False morning

... ومازالَ قلبي يَخفقُ حَتى الصَّباح .. !!

الصَّبَاحُ الكَاذِبُ

خفقَ قلبي لطلقاتٍ في صَدري، وقفتُ مذعوراً خَائفاً بعدَ أنْ صَحوتُ، تَرتَجفُ سَاقاي ويَقْشَعِرُ جِلدي، فالغبارُ كَثِيفٌ والشَّمْسُ تُرسِلُ أشِعَتَهَا الذَّهبية فِي كُلِّ مَكَانٍ، والحَياةُ أخذتْ تَدبُ فِي كُلِّ شَيءٍ، النَّبَاتُ بَدأ يَغْسِلُ أوراقَهُ مِن بَردِ النَّدَى، والعَصَافِيرُ فَرّتْ مِن أوْكَارِهَا أسْرَاباً .. أسْراباً، دُونَ أنْ تَسْمَعَ أُذنَاي زَقْزَقَتَهَا المَعْهُودَةَ فهي مذعورةٌ خائفةٌ، وتحملقُ عيناي في أسْرَابِها وهي مختلفةُ الاتجاهاتِ، غبارٌ كثيفٌ يغطي كُلَّ شَيء حَولي، الحيواناتُ هي الأخرى تركضُ في الشَّارِعِ وتتناطحُ، وخوارُ بقرةٍ كتومٍ ينبعثُ خلفَ الجدرانِ ويعقبُهُ نهيقُ حمارٍ وصراخُ أطفالٍ، النساءُ هنَّ الأخريات يركضنَ شبه عارياتٍ وشعورهن منتفشة وآثار بقايا نوم تكحلُ عيونهن غيرَ مبصراتٍ وِهادِ الطريقِ ويصرخنَ، رجالٌ قَدْ شمروا جلابيبهم إلى ركبهم، ومنهم من يضع أطرافها تحتَ أسنانهم وهم يركضون، وعجزةٌ يجلسونَ وسطَ الطريقِ وفوقَ الأرصفةِ ويعتمدُ أغلبهم على عِصي وعيونهم جاحظةٌ محملقةٌ في المارةِ لا ينظرون إلى شَيء أفواهُهم فاغرةٌ، رائحةُ أدخنةٍ تنبعثُ من البيوتِ كما تنبعثُ من عيونِ هؤلاءِ العَجزةِ ..

أتساءلُ : ماذا حدثَ ؟!

أهُناكَ خَطبٌ أصابَ النَّاسَ، كُلُ النَّاسِ وأطالَ الحيواناتِ، حتى العصافير حينما فرتْ من أوكارِها حزينةً، لا تصدر تغريداً ولا زقزقةً، كما عاهدتها منذ كنتُ صَغيراً ألعبُ معها في مثل هذا الصَّباحِ، الذي لا تكتنفه مثل هذه الغيوم وتلك الأدخنة .

خرجتُ للشّارعِ أتأملُ الكون، اشتعلتْ نفسي وانقبضَ قلبي مِراراً، أحسستُ بأنَّ القيامةَ قد قامتْ وأنَّ السَّماءَ قدْ أنشقتْ وردةً

كالدهانِ، اقشعرَ جِلدي واشتعلَ رأسي وطارَ قَلبي، ومازالتْ الشَّمسُ ترسلُ أشعتَهَا والأدخنةُ تتصاعدُ في السَّماءِ، عُدتُ إلى سَريري ومددتُ يدي؛ لأطفيء صراخاً فوقَ رأسي يعلو ويعلو، وتجري عيناي خلفَ عقاربَ انتصبتْ عندَ الثانيةِ والنصفِ ليلاً؛ فمسحتُ ببصري صفحةَ السَّماءِ من نافذةٍ تكادُ يتهشمُ زجاجُها فإذا النجومُ قدْ غارتْ والسحبُ تراقصتْ، والظلامُ يفترشُ الكونَ كله في صمتٍ مُميتٍ، تحققتُ أنَّ الطوفانَ ابتلعَ جميعَ الأحياءِ ونسيني وحيداً، فمازلتُ على قيدِ الحياةِ.. نعم مازلتُ على قيدِ الحياةِ؛ فدثرتُ رأسِي تحتَ الغطاءِ، والبردُ يقبضُ بفكيهِ على أوصَالي، ورحتُ أرتجفُ وأضغطُ على صوتِ صَريرِ أسناني حتى لايسمعُني ... ومازالَ قلبي يَخفقُ حَتى الصَّباح .. !!